والجريث غير الجرّيّ بل هما سمكتان متشابهتان اسماً ومسمىً لكنّهما تختلفان بعض الاختلاف من اوجهٍ خفيّة تظهر للمتبصّر : منها الاشتقاق اللغوي فان الجرّي عربيّ محض وصيغتهُ من صيغ المبالغة مأخوذة اما من الجَرْي اي العَدو وهو مشهور به في الماء (اللغويون مادة ج ر ي) واما من الجرّ وحينئذٍ يكون على طريق النسبة اذ هذا السمك كثيرًا ما يوافي الشواطئ ويجرّ منها نهاية الاطعمة الملقاة عنها. ولهذا ذكرهُ اللغويون في مادة ج ر ايضًا. ومن هذه الاوجه ايضًا الهيئة فان الجرّيّ في صغرهِ يشبه الجريث البالغ اشدّهُ كل الشبه الّا انهُ يمتاز عنهُ بشواربهِ وهي لا توجد في الجريث ويخلوّ ظهرهِ من حرفٍ ناتئ. زعنفي التركيب على ظهرهِ وهو موجود في الجريث. وكل من ينظر الى هذه الفروق والفصول ويُعدّها عرضيّة اشتبهت عليهِ الحقيقة. غير انّ البغادة المشهورين بفصاحة الالفاظ وكثرة الحروف الاصطلاحيّة يميزون بين هذين السمكين. واسم الجرّيّ معروف عندهم ومنهُ القول المأثور والمثل المشهور عند اهل الشيعة : « مَن يأكل الجرّي. من عليّ متبرّي » واما الجريث فاسمهُ عندهم : « المرمريج » وهو تصحيف المارماهيج او الماوماهي اللتين هما من اسماء الجريث

(ستأتي البقيّة)

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريفر اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الثاني عشر

في العود الى خدمة نسيب

— هلمَّ نشرب على صحّة بروسبر اولوي. لماذا لا تجيب يا فاضل جوابًا. . . أأنت من محبّي بروسبر اولوي الذي لو كان عرفك لـ . . . ولكن هلمَّ هلمَّ الى الشراب فانَّ بروسبر اولوي يرقد مطمئن البال في وسط الجليد بضايق شيلكوت. والرجل كلّ الرجل من يقدر على اكتشاف مدفنه الجليديّ في تلك المجاهل. . . ألا تنطق ألا تجاوب ولو بكلمة. . ألا تعلم انك لولاي لوقعتَ في خطر عظيم هو السقوط اوّلًا في الهاوية وثانيًا الشنق. ولا أُخفي عليك انني أُحب لو وقفت على تاريخ حياتك يا من تتكّر باسم « بيترس لاضف »

— ماذا يهمك من تاريخي ألا تعلم اني غير ملتزم ببيانه لاحد من الناس ؟

— ما لك وهذا الامتناع . أو ما تدري انني مع إبائك إيضاحهُ استطيع ان أتوصّل الى معرفتهِ فاوّلًا لا يُنكر انك في مدّة اقامتك القصيرة باميركة اعربت عن دراية عظيمة امكنك بها ان تجتنب الوقوع في ايدي رجال الشرطة والجواسيس الذين كانوا يبثُّونهم للتفتيش عنك . ولقد أحسنتَ في ما عملت لانك لولا ذلك . . .

قال هذا ولم يُسمع بعدهُ سوى صوت الضحك والقهقهة يقاطعهُ التطام الاقداح وقناني الشراب

ثم استؤنف الكلام على الوجه الآتي : « لقد شوهد فاضل هذا في شيكاغو غير انهُ كان قد تسمّى هناك بيترس لاضف وكان ذا ثروة عظيمة مكّنتهُ من احتكار الحبوب اما قبل ذاك فكان يبيع البضاعة متجوّلًا . هكذا جاء في حكايتهِ فهل لك ان تخبرني من اين جاءهُ الثراء بغتةً فان في ذلك لسرًّا ولا نكير ان فاضل من الحذّاق البارعين . . ومع هذا فما زلتَ يا فاضل في السنة الثلاثين من عمرك فكيف لو تجاوزتها »

وما كاد فاضل يسمع هذا الكلام حتى اعتراهُ خجل لا يوصف فخفض رأسهُ ولم ينطق ببنت شفة وكان يتذكّر الراهبة جانّ ماري وما وعدها بهِ من استقامة السلوك في اثناء مرضهِ

وعاد المتكلّم الى حديثهِ قائلًا : « لا اقصد مما سبق تأنيبًا او توبيخًا فانا نعلم ان حضرة الخواجا خبير بتدبير الامور وكفى دليلًا انهُ أقصى بروسبر اولري الذي كان طلبهُ للبراز الى النواحي القطبيّة . ومع كلّ هذا فقد كان يريد ان يقتني خطوات بروسبر اولري هذا ويتخوّن من اجل شيء يسير صديقًا لهُ . ولكنّ فاضلًا يخاف على جلده ويعلم ان أقلّ كلمة تجرّ عليهِ الوبال . كيف لا وكُرة صغيرة من كرات المسدّسات كافية لتخرق عظم رأسهِ . هلمّ نشرب يا فاضل على صحتك بل على صحّة بروسبر اولري »

حدث كلّ ما تقدّم ذكرهُ في غرفة منخفضة ضيّقة مظلمة عند مائدة (طاولة) عرجاء كان يلتطم عليها قدحان مُشتبَهٍ في نظافتهما وكان وقتئذٍ يتفلّت من بعض صدوع المواقد الموضوعة في زاوية الغرفة لهيب كَبِد مصحوب بدخان اسود . وكان باطن الغرفة المذكورة كباطن سائر المنازل في مدينة داڤسون سيتي التي أُنشئت على عجل في تلك

النواحي القطبيّة فجاءت ركاماً من البيوت. هذا اذا تسامحنا باطلاق اسم البيوت على اكواخ حقيرة مبنية بالاخشاب دون ترتيب ولا هندسة حتى كانت اشبه شيء بالاخصاص التي يقيمها الباعة المتجوّلون في أيام المواسم ثمّ ينقضونها في اليوم التالي

والصيف في هذه النواحي القطبيّة يدوم عشرة اسابيع الى اثني عشر اسبوعاً في الكثير وتبقى فيه الطرق مسلوكة والانهار صالحة لسفر القوارب من غاية حزيران حتى اوائل ايلول. فاذا انقضى هذا الوقت يأخذ الترمومتر في الهبوط حتى انهُ قد يتّصل الى الدرجة ٦٣ من مقياس فارنهيت وحينئذٍ تتكوّن طبقة كثيفة من الجمد في نهر يوكون ويتساقط الثلج بغزارة سادًا مضايق شيلكوت

ويا لله كيف يتأتى العيش اذ ذاك لاولئك الالوف المنكوبين المحبوسين في دائسون سيتي. كيف يستطيعون الحياة وقد تعذّر عليهم كلّ اتصال مع الساحل وكل سعي في جلب الاقوات بل امتنع عليهم ايضاً ان يفرّوا من مقامهم هذا الى مقام آخر يجدون فيه فرجاً. لا شك انهم يموتون جوعاً تجاه الذهب المدفون تحت ارجلهم

ولنعد الان الى الكلام على نسيب فنقول انهُ حالما وصل الى دائسون سيتي بادر الى مأموري حكومة كندة التي هي المالكة لمناجم كلوندايك لكي يؤدي الرسوم المضروبة ويكتسب كغيره حقّ البحث عن الذهب. امّا الرسم المضروب فيختلف بين ٢٠ و ٣٠ في المائة على المؤن التي يكون قد احتملها المهاجر ولا يخفى ان المهاجر لا يستطيع ان يستصحب معهُ الى تلك الجهات اقلّ من اربعمائة كيلو من الاقوات والّا عرض نفسهُ للموت جوعاً

ثمّ ان مأموري حكومة كندة يعاملون المهاجرون من الغرباء بشدّة وقساوة لاسيما اذا كانوا من الاميركيين. ولمّا كان نسيب وفاضل قد صرّحا بانهما اميركيان وتقاضوهما أعلى درجة من الرسم. وكان فاضل قد اضطرّ ان ينفق كلّ ما معهُ منذ خروجه من جونو حتى وصوله الى دائسون سيتي وهكذا فرغ كل ما كان قد ادخرهُ من المال فاضطر ان ينخرط في خدمة نسيب الذي عيّن لهُ اجرة مئة فرنك في اليوم واعدًا اياهُ بالمساعدة على استحصال قطعة من الارض يشتغل فيها لحسابه باستخراج الذهب

وكانت بداءة الشغل متعبة شاقة ولاسيما على فاضل

هذا وبعد ان عرف القارئ ما جرى في دانسون سيتي يتعجب بلا شك من رؤيته فاضلاً متقيّداً بخدمة نسيب. لاسيما وان هذا المنكود اللبناني كان قد وطن النفس على مجانبة من كان يحبهُ سبب بلاياهُ ومصائبهِ. وكان قد سافر مع المرسل اليسوعي الى جونو غير ان ثوران الزوبعة التي لم تكن منتظرة حال دون انتقالهِ لان الثلج كان قد سدّ الطرق وجعل كل سفر ممتنعاً

وبما ان فاضل كان صفر اليدين وفارغ الجيب من النقود اغتنم نسيب فرصة ارتباكه لاجل استجلابهِ اليه. وقد سبق الخبر في اثناء هذه الرواية كيف انهُ اشتغلهُ عندهُ في مناجم كاليفورنية هاضماً حقوقهُ واتعابهُ فاسداً اخلاقهُ وآدابهُ

اما فاضل هذا فبالنظر الى ضيق ذات يده لم يطلب سوى ما يدفع عنهُ غائلة الجوع وقد رضي بكلّ ما اقترحهُ عليهِ نسيب من الشروط القاسية وعلى هذا صار خادماً بل عبداً لنسيب فكان هذا الاخير يأمر وينهي وفاضل يخفض الرأس ويطيع صاغراً

وكان وقتئذٍ قد قارب الصيف ان ينتهي وخاف الباحثون عن الذهب ان يدهمهم الشتاء فيحول دون مرامهم فجدُّوا في الشغل اي جدّ حتى لم يكن يُسمع في تلك الاوض سوى ضرب المعاول وصرير المجارف وخرير المياه التي كانت تُصبّ على التبر لاجل تصفيتهِ. واذا جاء المساء وعاد كلّ واحد الى كوخهِ لم يكن من يتكلّم الّا عن مقدار ربحهِ في نهارهِ وما التقطهُ من شذور الذهب الى غير ذلك من الاقوال التي كان مدارها على المعدن الثمين وكلّ ذلك بين تعاطي الكؤوس وتلاطم قناني الشراب والاغاني الخلاعيّة المفسدة للآداب. ومن ثمّ كان شراب « الويسكي » يسيل ما بينهم كالسواقي فان تلك الجهات المقفرة اذا خلت من كل شيء لم تكن لتخلو من المسكرات

وبينما كان الشراب قد لعب بالادمغة قال نسيب لفاضل:

« ما اظنّك يا فاضل مغضباً بانتهائك الى كلوندايك حيث تجمع الذهب وافراً. آه لو اردتُ ان أُعدم حضرة الخواجا لفعلتُ في اسرع من لمح البصر ولكن لم تزل لي بهِ حاجة لبعض الشؤون. فعلى بيترس لاضف اذاً ان يخدمني بالحذق الذي اشتهر عنهُ في شيكاغو »

اما فاضل فما كان ليسمع او ليرى لان الأبخرة كانت قد ملأت دماغهُ وسرى

تأثيرها في سائر جسمه فكان يضحك متهقهاً كالابله المعتوه

واذ ذاك تقدَّم اليه محدّثهُ وعيناهُ تقدحان شرراً فقال: « هذه ورقة صغيرة عليك ان توقعها ». ثم ناولهُ اياها مع القلم. فنظر اليها فاضل نظر المبهوت. ثم تدحرجت من يد نسيب على المائدة فقطع الذهب فمدَّ اليها فاضل يد طامع شره في اخذها

— مهلًا ايها الصديق اني اعطيك كلّ هذه القطع ولكن عليك قبل كل شيء ان توقع الورقة

— ولماذا التوقيع ؟

— كن مطمئنًا فما هذه الّا ورقة صغيرة كما ترى. وثق اني اعطيك هذه القطع كلها ومثلها ايضاً فتصير غنياً... غنياً... بل أغنى مما تتصوَّر. هلمَّ ايضاً نشرب قدحاً آخر على صحّة بروسبر اولري

قال هذا وضحك مقهقهاً كاهل الجحيم وشرب فاضل قدحهُ دفعةً واحدةً متظاهراً بان الشراب لم يؤثر فيه

— قلتُ لك انهُ لا بدَّ من توقيع هذه الورقة لاسيما وانك بتوقيعها تصير غنياً

فنظر فاضل اليها وكان الشراب قد اعماه فاصبح لا يعرف قراءة حرف منها ثمَّ تناول قلماً وخطَّ بيد مرتجفة اسمهُ على المحل الذي عيَّنهُ لهُ محدّثهُ. وما كاد ينتهي حتى انقلب على كرسيه ونام (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

1 EBN MALEK
L'ALFIIAH TRADOTTA E COMMENTATA
da Errico Vitto, *Beirut*, 1898, pp. XX-425
شرح الفيَّة ابن مالك في اللغة الايطاليَّة

2 HOSSAN KUEIDER
DIZIONÀRIO DEI TRIPLICI
Tradotto da Er. Vitto *Beirut*., 1898, VIII-242
نيل الارب في مثلَّثات العرب لحسن قويدر وترجمهُ في الايطاليَّة

اهدانا سعادة قنصل ايطاليا العام في بيروت العلَّامة المستشرق هنري ڤيتو هذين